اسلامه وهجرته

كانت دوس كباقي العرب، وثنيّة مشركة، وقد نصبت لها صنماً تعبده تسميه «ذا الخَلَصَة»، وقع ذكره في حديث النبي صلى الله عليه وسلم؛ إذ أخرج البخاري بسنده إلى أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تقوم الساعة حتى تضطرب اليّات نساء دوس على ذي الخَلَصَة .) [1] يقول أبو هريرة معقباً (وذو الخلصة طاغية دَوْس التي كانوا يعبدون في الجاهلية .) ، وفي لفظ أحمد ومسلم : (وكانت صنماً تعبدها دوس في الجاهلية .) [2] زاد أحمد : (بتبالة)، وهي قرية بين الطائف واليمن ، كما في معجم البلدان .

وهذه الخلصة هي غير ذي الخلصة التي أرسل النبي صلى الله عليه وسلم جرير بن عبدالله رضي الله عنه في خمسين ومائة فارس من أحمس فهدموها؛ والتي ساق البخاري أخبار هدمها[3] ، ووصفها جرير في حديثه بأنها في منازل قبيلة خثعم؛ إذ (وان كان السهيلي يشير الى اتحادهما) إلا أن بين دوس (وبين خثعم تبايناً في النسب والبلد، وذكر ابن دحية أن ذا الخلصة المراد في حديث أبي هريرة كان عمرو بن لحي قد نصبه أسفل مكة . وكانوا يلبسونه القلائد ويجعلون عليه بيض النعام ويذبحون عنده، وأما الذي لخثعم فكانوا قد بنوا بيتاً يضاهون به الكعبة، فظهر الافتراق وقوي التعدد .) [4] .

في وسط هذا الضلال الجاهلي والشرك المظلم بلغت دعوة التوحيد من مكة (رجلاً شريفاً شاعراً مليئاً كثير

---

(١) البخاري ٩/٧٣ والخلصة بفتحات متتالية .
(٢) مسند أحمد ١٤/٩٢ ومسلم ٨/١٨٢
(٣) البخاري ٥/٢٠٨/٢٠٩
(٤) فتح الباري ٩/١٣٣

الضيافة) [1] هو الطفيل بن عمرو الدوسي ، فأسلم الطفيل بن عمرو ، وتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثم رجع إلى قومه من أرض دوس.) [2] و (دعا قومه فأسلموا) [3] فكان (فيهم أبو هريرة) [4] ، وذكر ابن حجر أن رواية هشام ابن الكلبي لقصة الطفيل (فيها أنه دعا قومه إلى الإسلام فأسلم أبوه ولم تسلم أمه ، وأجابه أبو هريرة وحده .) [5] .

هكذا بدأت قصة إسلام أبي هريرة .

ثم (إن الطفيل بن عمرو الدّوسي أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله : هل لك في حصن حصين ومنعة ؟ قال : حصن كان لدوس في الجاهلية . فأبى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، للذي ذخر الله للأنصار ، فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة هاجر إليه الطفيل بن عمرو .) [6] .

يقول الطفيل : (قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن أسلم من قومي ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ، حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتاً من دوس .) [7] .

وابتداء من هذا اليوم يتولى أبو هريرة سوق أخباره وأخبار الوفد .

يقول أبو هريرة : (لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر استخلف سباع بن عرفطة الغفاري ، فقدمنا) [8] (المدينة ونحن ثمانون بيتاً من دوس ، فقال قائل : رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ، وهو قادم عليكم ، فقلت : لا أسمع به ينزل مكاناً أبداً إلا جئته) [9] (فأتينا سباع بن عرفطة فجهّزنا . فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الفتح بيوم أو بعده بيوم .) [10] (قد فتح النطاة وهو محاصر أهل الكتيبة ، فأقمنا حتى فتح الله علينا .) [11] .

---

(١) ابن سعد ٢٣٧/٤

(٢) المستدرك ٢٥٩/٣ بطريق مرسلة عن الواقدي ، والواقدي وان استقر الاجماع على وهنه كما يقول الذهبي في الميزان ١١٠/٣ ، الا ان الاستئناس بورواياته في مثل هذه الامور جائز كما صرح الحافظ ابن حجر في الفتح ٣٩٠/٣

(٣) ابن سعد ٣٥٣/١ عن شيوخ له

(٤) نفس المصدر

(٥) فتح الباري ١٦٤/٩ ، وابن الكلبي ضعيف ، لكن يجوز الاستئناس برواياته في مثل هذه الامور غير الشرعية أو التاريخية التي لا ينقل خلافها من الروايات او القرائن .

(٦) رواه مسلم ٧٦/١ عن جابر بن عبدالله ، وهو في المستدرك ٧٦/٤ بسند على شرط الشيخين وفي مسند أبي عوانة ٤٧/١

(٧) ابن سعد ٢٣٩/٤ من طريق الواقدي ، وانظر تاريخ البخاري ٣٥٥/ج٣/ق١

(٨) مستدرك ٣٣/٢ بسند صحيح اقره الذهبي ومسند أحمد ٣٤٥/٢

(٩) مغازي الواقدي ٦٣٦/٢

(١٠) مستدرك ٣٣/٢

(١١) مغازي الواقدي ٦٣٦/٢ ، والنطاة والكتيبة من حصون خيبر المنيعة ، وخبر مجيء أبي هريرة واستخلاف سباع اخرجه الطحاوي في معاني الآثار ١٠٨/١ ، وكذلك احمد ، وابن خزيمة وابن حبان فيما يقول ابن حجر في الفتح ٢٩/٩

وهذه الروايات الواضحة تصرف قول البخاري في أن أبا هريرة (جاء بعد أيام خيبر)[1] إلى البعدية القريبة ، أي بعد أهم معارك خيبر في النطاة . والقرائن تدل على ذلك ، اذ هو قد شاهد صاحب القصة المشهورة الذي قاتل في آخر معارك خيبر مع المسلمين فجرح فانتحر ، ويقول في ذلك : (شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر ، فقال ، يعني لرجل من المسلمين : هذا من أهل النار ...)[2] وأخرج ابن أبي خيثمة بسند صحيح أن أبا هريرة قدم بين الحديبية وخيبر[3] .

كان أبو هريرة آنذاك في فورة شبابه ، إذ كان عمره دون الثلاثين سنة ، استدلالاً من عمره عند وفاته ، كما سنأتي على ذكره في فصل وفاته . فلا غرابة أن نجده متوقد الذهن ، حاد الذكاء، سريع الحفظ ،عميق الإيمان ، يساعده على ذلك ما كان قد تعوّده أثناء نشأته يتيماً من الاعتماد على النفس ، ويعاونه على التجرد للحفظ وفهم قواعد الايمان بعده عن مشاغل الدنيا وهجرته مسكيناً لا تعلق لقلبه بمال ، وفي ذلك يقول أبو هريرة بسند صحيح عنه : (نشأت يتيماً ، وهاجرت مسكيناً .)[4] .

مدة صحبته

لما كان أبو هريرة قد (قدم في خيبر سنة سبع ، وكانت في صفر ، ومات النبي صلى الله عليه وسلم في ربيع الأول سنة احدى عشرة ، فتكون المدة أربع سنين وزيادة .)[5] ، وهي المدة التي صرح بها حميد بن عبد الرحمن الحميري بقوله : (لقيت من صحب النبي صلى الله عليه وسلم كما صحبه أبو هريرة أربع سنين .)[6] .

لكن أبا هريرة نفسه يصرح في البخاري بأنه صحب النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين[7] ، (فكأن أبا هريرة اعتبر المدة التي لازم فيها النبي صلى الله عليه وسلم الملازمة الشديدة وذلك بعد قدومهم من خيبر ، أو لم يعتبر الأوقات التي وقع فيها سفر النبي صلى الله عليه وسلم من غزوه وحجّه وعُمَره ، لأن ملازمته له فيها لم تكن كملازمته له في المدينة ، أو المدة المذكورة بقيد الصفة التي ذكرها من الحرص ، وما عداها لم يكن وقع له فيها الحرص المذكور ، أو وقع له لكن حرصه فيها أقوى ، والله أعلم .)[8] ، أو أن يكون نقصان ذلك راجعاً إلى عدم إدخاله في الحساب أيام سفره إلى البحرين سنة ثمان للهجرة برفقة العلاء الحضرمي أمير النبي صلى الله عليه وسلم على البحرين[9] .

---

(١) التاريخ ١٣٠/جـ١/ق١

(٢) مخطوطة تاريخ ابن أبي خيثمة ص ٧٣

(٣) فتح الباري ٤٢١/٧ ، سير اعلام النبلاء ٤٢٦/٢

(٤) ابن سعد ٣٢٦/٤ التاريخ الكبير ٥٤/جـ٢/ق١

(٥) مسند أحمد ١١١/٤ ، ابوداود ١٩/١ ، النسائي ١٣٠/١ ، ابن سعد ٣٢٧/٤ ، معاني الآثار ١٤/١ باسانيد صحيحة .

(٦) مسند أحمد ٢٢٥/١٥ والقصة في صحيح البخاري في عدة مواضع .

(٧) وكذا في معاني الآثار ٢٦٠/١

(٨) الفتح ٤٢١/٧ وستأتي في فصل خاص أقواله في حرصه .

(٩) كذا رجح محمد عجاج الخطيب في كتابه عن أبي هريرة ص ٢١٩